المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 29-10-2007 العـــدد : 12554
الصفحـات : 14 المسلسل : 98

ملف صحفي

جولة خادم الحرمين الشريفين

استثمار لماضٍ عريق وسعي لمستقبل مثمر

الأمير محمد بن نواف بن عبدالعزيز

المصـــــدر : اليوم

التـــاريخ : 29-10-2007 العـــدد : 12554

الصفحـات : 14 المسلسل : 98

قبل ما يقـرب من مائة عام ، التقى الملك المؤسس عبـد العزيز بـن عبد الرحمـن آل سـعود، يرحمه الله، المقيـم البريطاني فـي الكويت آنـذاك، الكابتن وليم شيكسـبير، في أول لقاء يجمعه مع مسـؤول رسـمي يمثل الحكومة البريطانية. وبالإضافة إلى الانطباعات الشـخصية الرفيعة التي حملهـا كلٌ منهما عن الآخر، فقد كان هذا اللقـاء التاريخي - وما تبعه من أحداث مهمة كانت نقطة انطلاقها توقيع معاهدة عام 1915م ثـم تأسـيس أول بعثة دبلوماسـية فـي الثلاثينيات - بدايـة لعلاقـات إيجابيـة ووثيقة ومتطـورة بين المملكة العربية السـعودية والمملكة المتحدة، بنيتْ على الاحتـرام المتبادل، وتفهم المصالح المشـتركة والعمل على تنميتها، وإرساء دعائم الأمن والسلم الدوليين.

وتأتي زيارة خادم الحرمين الشريفين، الملك عبد الله بـن عبد العزيز، للمملكة المتحـدة، خلال الفترة ما بين 30 أكتوبر وحتى 1 نوفمبر من عام 2007م، اسـتمراراً للجهود السـعودية التي تواترت خلال العقود الماضية بهدف تنميـة وتعزيز العلاقات بـين المملكتين حتى باتت تشـمل جميـع مجـالات التعـاون والتنسـيق المشـترك، سـواء في مجال العلاقـات الثنائية أو في مجالات العمل الدولي المشترك.

كمـا أن الزيـارة الملكية الكريمة تأتي ضمن سلسـلة الزيارات التي يقـوم بها خادم الحرمين الشـريفين، يحفظـه الله، للـدول الشـقيقة والصديقـة، لتطوير العلاقات الثنائية، وتعزيز الدور المميز الذي تنهض به المملكة على المستويين الإقليمي والدولي.

وفضـلاً عن الجـذور التاريخية التي ترسـي قاعدة صلبة لهذه العلاقة وتمنحها أهمية خاصة للزيارة الملكية الكريمة، فإن أهمية هذه الزيارة تنبع من كونها تأتي في وقت يشـهد فيـه العالـم الكثير مـن التحديات والتطورات التي تحتم علـى قياداته، والقوى الفاعلة فيه، تكثيف التواصل والتنسـيق فيما بينها، وتعزيز العمل المشـترك الدؤوب للتعامل مع هـذه التحديات والتجاوب معها بنجاح.

ولمـا كان من الطبيعي أن تكـون للمملكة - وكذلك لبريطانيـا - رؤيتها الخاصة فيمـا يتعلق بالأوضاع والقضايـا الإقليمية والدولية، فقـد كان من الطبيعي أيضا أن تكون قيم التعاون والدعم المتبادل هي ركائز التعامـل بين البلدين عند اتفـاق هذه الرؤى، وتكون قيم التفهم والاحترام المتبادل ركائز التعامل بينهم عندمـا تختلف هذه الرؤى. وفي كل الأحوال فقد كان البلـدان متفقين دائماً على تنمية وتوسـيع العلاقات القائمـة بينهما بحيـث تجاوزت بدايتها السياسـية والدبلوماسية لتشـمل مجالات عديدة لعل من أهمها العلاقات التعليمية والثقافية والاقتصادية.

ففي الجانب التعليمي والثقافي شـهدت العلاقات بين البلدين تطوراً مطرداً في السـنوات الماضية، حيث يتوقـع أن يصل عـدد الطلبة السـعوديين في المملكة المتحدة، مع نهاية عام 2007م، إلى أكثر من ستة آلاف طالـب وطالبة يتلقون تعليمهم في جامعات ومعاهد المملكـة المتحدة المختلفة في شـتى التخصصات وعلى جميع المسـتويات. بل من المتوقـع أن يزيد هذا العدد نظراً لما يوليه خادم الحرمين الشـريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، و ولي العهد، يحفظهما الله، من عناية واهتمام لدعم التعليم في المملكة العربية السعودية، وحـرص خـادم الحرمين الشـريفين ، أيـده الله، على تأهيل أبنائه الطلبة، ليتواكب تعليمهم مع متطلبات العصـر، وذلك مـن خلال البعثـات والمنـح التعليمية المختلفة لشتى بلدان العالم المتقدمة، سواء عن طريق برنامـج الملك عبـد الله للابتعاث الخارجي أو البرامج الأخرى. كما أن هناك برامج طبية و تعليمية وتدريبية قائمة بين مؤسسات سعودية ونظيراتها البريطانية، خصوصاً في مجال التدريب المهني لاستفادة كل طرف من تجربة الطرف الآخر.

ولإيماننا بأن التعـاون العلمي والثقافي لا ينحصر في العملية التعليميـة والتدريسية فقط، بل يتعداها إلى المفهوم الشـامل للثقافة، فقد قامت سفارة خادم الحرمين الشـريفين لدى المملكة المتحـدة بفتح أبواب جديـدة في مجـال العلاقـات الثقافية بـين البلدين، مـن خـلال إطـلاع الشـعب البريطاني الصديـق على الأوجـه المختلفة للتراث والثقافة فـي المملكة العربية السـعودية، ومن ذلك إطلاعهم على جهود الدولة في مجـال المحافظة على التراث التاريخي والآثار وإنشـاء المتاحف. وفي هذا الشأن رتبت السفارة زيارات لمجموعة متميزة من الأكاديميين السـعوديين المتخصصين في الآثـار والمتاحف لعدد مـن أبرز المتاحـف البريطانية والاسـكتلندية، وأقامت معارض فنية وعروضا شعبية وفولكلوريـة زارت مدنـاً مختلفة فـي بريطانيا. وقد أثمرت هـذه الزيارة تعاوناً بـين الجانبين يرتكز على تبادل الخبرات والتجارب.

وإننـا لنأمل أن يتـم التوقيع على مذكـرة تفاهم في هذا الشـأن أثناء الزيـارة الكريمة. ولعل من أعمق مظاهـر التوافـق الثقافي بين البلدين مـا يصدر عن قيادتـي البلدين مـن دعـوات لأهمية الحـوار الجاد والبناء بين الحضارات والتعايش الودّي بين الثقافات، وتأكيدهمـا المسـتمر على ضـرورة إزالة الالتباسـات وسـوء الفهم، وأهمية تقوية أواصر الألفة والتعاون بين المنتمين إلى ثقافات مختلفة.

ولا شـك أن العلاقـات الثقافيـة والاجتماعيـة التـي تربط المملكتين تشـمل كذلك أكثر من خمسـة وعشـرين ألف بريطاني يعملون ويقيمون في المملكة العربيـة السـعودية، ويمثلـون سـفراء لبلادهم في المملكة وسـفراء للمملكة في بلادهـم في ذات الوقت، كما تشـمل الأعـداد الهائلـة من السـعوديين الذين يقصـدون مدن وقرى المملكة المتحـدة على مدار العام

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 29-10-2007 العـــدد : 12554
الصفحـات : 14 المسلسل : 98

للعمل والزيارة، وتشمل، بلا شك، نحو خمسة وعشرين ألف حاج بريطاني يفدون إلى المملكة سنوياً لأداء فريضة الحج ويحظون بما يحظى به الملايين غيرهم من قاصدي أداء هذه الفريضة المقدسة من رعاية واهتمام، كما يمثل تنظيم وانطلاق بعثتهم نموذجاً للتعاون الفاعل بين البلدين.

أما العلاقات الاقتصادية والتجارية بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة فهي، بلا شك، وثيقة ومتطورة بشكل مستمر. فاقتصاد المملكة العربية السعودية هو الأكبر في منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي، وهو واحدٌ من أكبر خمسة وعشرين اقتصاداً في العالم. وليس أدل على جهود الحكومة السعودية في مجال تطوير وتحديث اقتصادها من أن المملكة صُنفت في المرتبة الثالثة والعشرين من بين مائة وثماني وسبعين دولة، حسبما ورد في التقرير السنوي الأخير للبنك الدولي المعنون «يسر إنجاز الأعمال التجارية» «Ease of Doing Business» والذي صنّف الدول التي شهدت إصلاحات اقتصادية. ولا شك أن إحراز هذه المرتبة يعد إنجازاً طيباً إذ كانت المملكة في السابق تحتل المرتبة الثامنة والثلاثين. كما صنّف التقرير نفسه المملكة العربية السعودية كأفضل اقتصاد في منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي من حيث التبادل التجاري والأعمال.

من جانب آخر فإن المملكة العربية السعودية هي أكبر وأهم شريك اقتصادي للمملكة المتحدة في منطقة الشرق الأوسط. والمملكة المتحدة بدورها تقدر متانة الاقتصاد السعودي ولذلك فهي ثاني أكبر مستثمرٍ أجنبي فيه، حيث يستثمر البريطانيون مع السعوديين في مشروعات مشتركة بمبالغ تقدر بحوالي خمسة عشر بليون دولار.

والبلدان يعملان سوياً على تعزيز هذه العلاقة من خلال مؤسسات عديدة منها اللجنة السعودية البريطانية المشتركة للتعاون الاقتصادي والفني، ومجلس الأعمال السعودي البريطاني الذي يضم نخبة من رجال الأعمال في البلدين، ويقوم بدور فاعّل لتعزيز وزيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين، والعمل على إزالة معوقات التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي.

وفي هذا الإطار، كذلك، فإن لدى ممثليات المملكة العربية السعودية في الخارج، ومنها بطبيعة الحال السفارة السعودية في لندن، تعليمات من القيادة الرشيدة تؤكد على أهمية اتخاذ كل ما من شأنه تشجيع الاستثمار في المملكة وتيسير التعامل بين القطاعات الاقتصادية في دول العالم والقطاع الاقتصادي السعودي.

ولا شك أن هذا التوجّه يعكس استمرار وتعزيز الرؤية المستقبلية، التي تبنتها الحكومة السعودية منذ سنوات، والتي تعتمد على تنويع مصادر الدخل وبناء اقتصاد تفاعلي مفتوح. ومن هذا المنطلق فقد فُتح مكتب للهيئة العامة للاستثمار في سفارة خادم الحرمين الشريفين في لندن التي تعمل مع الجهات المختصة في المملكة العربية السعودية، بهدف التعريف بالفرص الاستثمارية في المملكة وتشجيع المستثمرين البريطانيين وجذبهم للاستثمار في المملكة، إضافة إلى توفير المعلومات وتسهيل إجراءات السفر وتقديم الخدمات المساندة الأخرى.

«بين المملكتين» .. مؤتمر سنوي

وفي إطار إدراك كلا البلدين لأهمية هذه العلاقات وسعيهما لتطويرها وتوفير أفضل فرص الالتقاء بين الجانبين لبحث كل ما من شأنه تنمية هذه العلاقات وتوثيقها، فقد درج البلدان، منذ عام 2005م، على تنظيم مؤتمر سنوي تحت اسم «بين مملكتين» بحيث يُعقد في إحدى المملكتين بالتناوب، وسيعقد، بإذن الله، هذا العام - 2007م - في المملكة المتحدة في اليوم الذي يسبق الزيارة الملكية الكريمة. ويهدف اللقاء، في جانب منه، إلى تعزيز سبل التعاون التجاري، وتشجيع الاستثمار في البلدين، وتذليل الصعاب أمام المستثمرين من البلدين، والتعاون في مجالات التعليم الفني والتدريب المهني. وقد أكدت المملكة العربية السعودية، في أكثر من مناسبة، أنها عاقدةٌ العزم على تعزيز شراكتها التجارية مع المملكة المتحدة ومع بلدان العالم كافة، وعلى إزالة جميع العوائق التي قد تقف في طريق تحقيق هذا الهدف.

لا شك أن هذا قد تجسد فعلاً في التشريعات الاقتصادية الجديدة التي أقرتها الحكومة السعودية والتي اتسمت بأنها أكثر مرونة وانفتاحاً وشفافية، وبالتالي فهي أكثر مواكبة لاقتصاد معولم. كما تجسد هذا في المشروعات الاقتصادية العملاقة التي أطلقتها المملكة والتي تعد الأكبر من نوعها في المنطقة.

لقد أسهمت السنوات التي مرت على العلاقات السعودية البريطانية، والتي قاربت على المائة كما ذكرت آنفاً، في إنضاج هذه العلاقة وإرسائها على قيم وقواعد راسخة وفعالة وإيجابية، ونحن ننظر إلى الزيارة الملكية الكريمة التي يقوم بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز لبريطانيا، بكثير من الأمل والحماس لأنها تمثل خطوةً متميزة على طريق كان دائماً عامرا بقصص النجاح والتعاون البناء، كما أننا نسأل الله السداد والتوفيق لخادم الحرمين الشريفين الذي وهب نفسه لخدمة دينه ووطنه ومواطنيه والأمتين العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء، موقنين بأن هذه الزيارة ستحمل، بتوفيق الله، من النتائج ما يعين على مواصلة مسيرة التعاون بين البلدين وتعزيز نجاحاتها.

■■ سفير المملكة في بريطانيا